مختصر
جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي

اختصره وعلق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَدِيثُ التَّاسعُ والعِشْرُونَ

■ عن مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، ويُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ؛ وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ؛ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ؛ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وعَمُودِهِ، وذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلَامُ، وعَمُودُهُ: الصَّلَاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى

يَا رَسُولَ اللهِ. فأَخَذَ بِلِسَانِه؛ وقالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ؛ وإِنَّا لمُؤَاخَذُونَ بِمَا نتَكَلَّمُ بِه؟ فقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

الشَّرحُ

* قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَدُلُّكَ علَى أبواب الخير؟»:

لمـَّا رَتَّبَ دخولَ الجنَّةِ علَى واجباتِ الإسلامِ؛ دلَّهُ بعدَ ذلكَ علَّى أبوابِ الخيرِ مِن النَّوافِلِ؛ فإنَّ أفضلَ أولياءِ اللهِ هُمُ المـُقرَّبُونَ؛ الَّذِينَ يتقرَّبونَ إليهِ بالنَّوافلِ بعدَ الفرائِضِ.

* وقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّومُ جُنَّةٌ»:

(الجُنَّةُ): هِيَ مَا يستَجِنُّ بِهَا العبدُ؛ كالمِجَنِّ الَّذِي يقيهِ عندَ القتالِ مِن الضَّربِ؛ فكذلكَ الصِّيامُ؛ يَقِي صاحبَهُ مِن

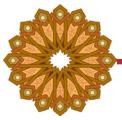

المعاصِي في الدُّنيا؛ كمَا قالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ فإذَا كانَ لهُ جُنَّةٌ مِن المعاصِي؛ كانَ لهُ جُنَّةٌ في الآخرةِ مِن النَّارِ.

* قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والصَّدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ؛ كمَا يُطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ»:

يَعْنِي: أنَّها تُطفئُ الخطيئةَ أيضًا كالصَّدَقَةِ؛ ويدلُّ علَى ذلكَ: مَا أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ، مِن روايةِ عُروةَ بنِ النَّزَّالِ، عَن مُعاذٍ قالَ: أقبلنَا معَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن غزوةِ تبوكٍ...؛ فَذَكَرَ الحديثَ، وفيهِ: «الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ، وقيامُ العبدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ يكفِّرُ الخطيئةَ»(١).

وفي الترمِذيِّ، مِن حديثِ بلالٍ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وقدْ بيَّنَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ -أثناءَ ذِكرِهِ لرِواياتِ الحديثِ-: أنَّ عروةَ بنَ النَّزَّالِ لَم يسمعْ مِن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالَ: «عَلَيكُم بقيامِ اللَّيْلِ؛ فإنَّه دَأْبُ الصَّالحينَ قبلَكُم، وإنَّ قيامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلَى اللهِ جَلَّجَلَالُهُ، ومنهاةٌ عَن الإثمِ، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، ومَطْرَدةٌ للدَّاءِ عَن الجَسَدِ».

وخرَّجَهُ، مِن حديثِ أبي أُمامةَ بنَحْوِه، وقالَ: «هُوَ أصحُّ مِن حديثِ بلالٍ»(١).

وقد تقدَّمَ: أنَّ صدقةَ السِّرِّ تُطفئُ الخطيئةَ، وتُطفئُ غضبَ الرَّبِّ؛ فكذلكَ صلاةُ اللَّيْلِ.

---

(١) أخرجَهُ التِّرمذيُّ (٣٥٤٩)، وقالَ: «حديثٌ غريبٌ، لاَ نعرفُه مِن حديثِ بلالٍ إلَّا مِن هذَا الوجه»، ثُمَّ ساقَ كلامًا يدلُّ علَى أنَّ الحديثَ عِندَهُ ضعيفٌ جِدًّا، ثُمَّ ساقَ حديثَ أبي أمامةَ، أنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «عليكُم بقيامِ اللَّيلِ؛ فإنَّه دأبُ الصَّالحينَ قبلَكم، وهُوَ قربةٌ إلَى ربِّكم، ومَكْفَرَةٌ للسَّيِّئاتِ، ومنهاةٌ للإثمِ»، ثُمَّ قال: «وهذَا أصحُّ مِن حديثِ إدريسَ، عَن بلالٍ».
قلتُ: وقد تابَعَهُ الشَّيخُ الألبانيُّ علَى ذلكَ؛ فقالَ عَنِ حديثِ بلالٍ: إنَّه «ضعيفٌ جِدًّا»؛ انظر: «ضعيف التَّرغيب» (٣٥٧)، وقالَ عن حديثِ أبي أمامةَ: إنَّه «حَسَنٌ لغيرِهِ»؛ انظر: «الصَّحيحة» (٦٢٤).
والخلاصة: أنَّ الحديثَ ثابتٌ -إن شاء الله- مِن روايةِ أبي أمامةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وليسَ فِيهَا: «ومطردة للدَّاءِ عَن الجسدِ».

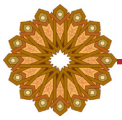

* وقولُه: «ثُمَّ تلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧]:

يَعنِي: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلا هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ؛ عِندَ ذِكْرِهِ فضلَ صلاةِ اللَّيْلِ؛ ليبيِّنَ بذلكَ فضلَ صلاةِ اللَّيْلِ.

* وقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وصلاةُ الرَّجُلِ مِن جَوْفِ اللَّيْلِ»:

ذَكَرَ أفضلَ أوقاتِ التَّهجُّدِ باللَّيلِ؛ وهُوَ: جوفُ اللَّيْلِ.

وقدْ قيلَ: إنَّ جوفَ اللَّيْلِ إذَا أُطْلِقَ فالمرادُ بِهِ: وسطُهُ. وإن قيلَ: جوفُ اللَّيْلِ الآخر؛ فالمرادُ: وسطُ النِّصْفِ الثَّانِي؛ وهُوَ: السُّدسُ الخامِسُ مِن أَسداسِ اللَّيْلِ، وهُوَ الوقتُ الَّذِي وردَ فيهِ النُّزولُ الإلهيُّ.

* قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُخبِرُكَ برَأْسِ الأمرِ، وعَمُودِهِ،

وذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟»؛ قُلْتُ: بلَى يَا رَسُولَ اللهِ؛ قالَ: «رَأْسُ الأمرِ: الإسلامُ، وعمودُهُ: الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ»:

أخبرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن ثلاثةِ أشياءَ: رأسِ الأمرِ، وعمودِهِ، وذِرْوَةِ سَنَامِهِ:

يعنِي بـ (الأمرِ): الدِّينَ؛ وقدْ جاءَ تفسيرُهُ في الرِّوايَةِ الأُخرَى بـ: الشَّهادَتَيْنِ؛ فمَن لَم يُقِرَّ بِهما ظاهرًا وباطنًا؛ فليسَ مِن الإسلامِ في شيْءٍ.

وأمَّا قِوامُ الدِّينِ؛ فهُوَ: الصَّلاةُ؛ يقومُ بهِ الدِّينُ؛ كمَا يقومُ الفُسْطَاطُ علَى عَمُودِهِ.

وأمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ -وهُوَ أعلَى مَا فيهِ وأرفَعُهُ- فهُوَ: الجِهَادُ؛ وهذَا يدلُّ علَى أنَّه أفضلُ الأعمالِ بعدَ الفرائضِ؛ كمَا هُوَ قولُ الإمامِ أحمدَ وغيرِهِ مِن العلماءِ.

* قولُه ﷺ: «أَلَا أُخبرُكَ بِملاكِ ذلكَ كلِّه»؛ قلتُ: بلى؛ قالَ: «كُفَّ عليكَ هذَا»:

هذَا يدلُّ علَى أنَّ كفَّ اللِّسانِ، وضبطَهُ، وحبسَهُ، هُوَ أصلُ الخيرِ كلِّهِ، وأنَّ مَنْ مَلَكَ لِسانَهُ؛ فقدْ مَلَكَ أمرَهُ، وأحكمَهُ، وضبطَهُ.

والمُرادُ بـ (حصائِدِ الألسنَةِ): جزاءُ الكلامِ المُحَرَّمِ، وعقوباتُهُ؛ فإنَّ الإنسانَ يزرعُ بقولِهِ وعملِهِ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، ثُمَّ يَحصِدُ يومَ القيامةِ مَا زرعَ، فمَن زرعَ خيرًا؛ حصَدَ الكرامَةَ، ومَن زرعَ شرًّا؛ حصدَ النَّدامَةَ.

ورَوَى مالكٌ، عَن زيدِ بنِ أسلمَ، عَن أبيهِ، أنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دخلَ علَى أبي بكرٍ رضي الله عنه وهُوَ يجبِذُ لسانَهُ؛ فقالَ عُمَرُ: «مَهْ؛ غَفَرَ اللهَ لكَ»! فقالَ أبو بكرٍ: هذَا أوردَنِي الموارِدَ»![1]

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» بإسناد صحيح (٢٨٢٥).

وكانَ ابنُ مسعودٍ يحلفُ باللهِ الَّذي لَا إلهَ إلَّا هُوَ: «مَا علَى الأرضِ شيءٌ أحوجَ إلَى طولِ سَجْنٍ مِن لِسَانٍ»![1]

وقالَ يونُسُ بنُ عبيدٍ: «مَا رأيتُ أحدًا لسانُه مِنهُ علَى بالٍ؛ إلَّا رأيتُ ذلكَ صلاحًا في سائِرِ عملِهِ»[2].

❊❊❊

(١) أخرجه ابن أبي شَيبة في «المصنَّف» (٩/ ٦٥).

(٢) مَن أرادَ التَّوسُّعَ فيمَا يتعلَّقُ باللِّسانِ؛ فلْيرجعْ إلَى شرحِ الحديثِ الخامسَ عشرَ مِن هذَا الكتابِ.